صبح الأعشى في صناعة الإنشا

(تعس الزمان فقد أتى بعجاب ... ومحا فنون الفضل والآداب) .

(وأتى بكتاب لو انبسطت يدي ... فيهم رددتهم إلى الكتاب) .

قلت وإنما تقاصرت الهمم عن التوغل في صناعة الكتابة والأخذ منها بالحظ الأوفى لاستيلاء الأعاجم على الأمر وتوسيد الأمر لمن لا يفرق بين البليغ والأنوك لعدم إلمامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها حتى صار الفصيح لديهم أعجم والبليغ في مخاطبتهم أبكم ولم يسع الآخذ من هذه الصناعة بحظ إلا أن ينشد .

(وصناعتي عربية وكأنني ... ألقى بأكثر ما أقول الروما) .

(فلمن أقول وما أقول وأين لي ... فأسير لا بل أين لي فأقيما) .

وقد حكى أبو جعفر النحاس عن بعضهم أنه قال حضرت مجلس رجل فأحجمت عن مسألة حاجتي لكثرة جمعه فرأيته وقد أملى على كاتبه ولم أكتب بخطي إليك خوفا من أن تقف على رداوت فكتب كتابه رداوته على ما يجب فقال أما تحسن الهجاء أين الواو فأثبتها الكاتب فخس حينئذ في عيني فاجترأت عليه فدنوت منه وسألته حاجتي .

وحكى صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء أنه تقدم إلى كاتبه بأن يكتب ألقاب أمير ليثبتها على برج أنشأه فكتب أمر بعمارة هذا البرج أبو فلان فلان واستوفى ألقابه إلى آخرها ودفع المثال إلى الوزير ليقف عليه فلما قرأه غضب حتى ظهر الغضب في وجهه وأنكر على الكاتب كونه كتب أبو فلان بالواو ولم يكتب أبي فلان بالياء محتجا عليه بأن أبو من ألفاظ العامة